عناية الإسلام بصحة الإنسان ودعوته للمحافظة عليها

٢٦ من ذي الحجة ١٤٣٦هـ الموافق ٩ من أكتوبر ٢٠١٥م

أولا : العناصر:

١- الصحة نعمة من أجل النعم.

٢- عناية الإسلام بالإنسان صحيًا.

٣- مظاهر اهتمام الإسلام بصحة الإنسان.

٤- دعوة الإسلام إلى التَّداوي والأخذ بالأسباب.

٥- عناية الإسلام بفقه الصحة الإنجابية.

ثانيا : الأدلة :

الأدلة من القرآن الكريم :

١- قال تعالى: {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٦].

٢- وقال تعالى: {قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٤٧].

٣- وقال تعالى: {وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١].

٤- وقال تعالى: { وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [البقرة : ١٩٥].

٥- وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة:٦].

٦- وقال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣].

٧- وقال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢].

٨- وقال تعالى: { وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: ٢٣٣].

الأدلة من السنة :

١. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[رواه مسلم].

٢. وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: « سَلْ رَبَّكَ الْعَافِيَةَ وَالْمُعَافَاةَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ». ثُمَّ أَتَاهُ في الْيَوْمِ الثاني فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ « فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَأُعْطِيتَهَا فِي الآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ » (رواه الترمذي).

٣. وعَنْ سَلْمَانَ (رضي الله عنه) قَالَ : عَادَنِي رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَنَا عَلِيلٌ ، فَقَالَ : يَا سَلْمَانُ شَفَى اللَّهُ سَقَمَكَ ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ ، وَعَافَاكَ فِي بَدْنِكَ وَجِسْمِكَ إِلَى مُدَّةِ أَجَلِكَ. (رواه الحاكم في المستدرك).

٤. وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ (رضي الله عنه) أنه سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) يَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): « لاَ يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ». (رواه البخاري).

٥. وعَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِب (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ» [رواه الترمذي].

٦. وعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ....» [رواه مسلم] .

٧. وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنهما) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ» [رواه مسلم] .

٨. وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً» [رواه البخاري].

٩. وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : «الطَّاعُونُ آيَةُ الرِّجْزِ، ابْتَلَى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ نَاسًا مِنْ عِبَادِهِ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا، فَلَا تَفِرُّوا مِنْهُ» [متفق عليه].

ثالثًا : الموضوع:

من أجل وأكرم وأعظم النعم الربانية التي أنعم الله – عز وجل– بها على الإنسان نعمة الصحة وسلامة الأعضاء من الآفات والأمراض ، فبالصحة يتمكن المرء من أداء حق ربه جل جلاله ، وحق نفسه ، وحق غيره ، وهي أهم ما يملك العبد في حياته ، وفي الحديث عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم) : (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ) (رواه البخاري). فكثير من الناس لا يقدرون هذه النعمة العظيمة ، ولا يعرفون قيمتها ، ولا يستثمرونها في موضعها الصحيح ، ولا يقدرون أهميتها ، فمن اِسْتثمر فراغه وصحَّته فِي طاعة الله فهوَ المغبوطُ ، ومَنْ اِسْتثمر هما فِي معصية الله فهوَ المغبونُ .

وإذا أراد المرء أن يعرف قيمة نعمة الصحة فليذهب إلى المستشفيات ، وينظر إلى أهل الابتلاء الذين أصيبوا بأنواع من الأمراض الجسدية ، وهم يتمنون أن يكونوا في كامل صحتهم وعافيتهم.

لذا نجد الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) يفضل نعمة الصحة على الكثير من متاع الحياة الدنيا ، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ خُبَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ عَمِّهِ ، قَالَ : كُنَّا فِي مَجْلِسٍ ، فَجَاءَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) وَعَلَى رَأْسِهِ أَثَرُ مَاءٍ ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُنَا : نَرَاكَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ ، فَقَالَ : (أَجَلْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ) ثُمَّ أَفَاضَ الْقَوْمُ فِي ذِكْرِ الْغِنَى ، فَقَالَ : (لاَ بَأْسَ بِالْغِنَى لِمَنِ اتَّقَى ، وَالصِّحَّةُ لِمَنِ اتَّقَى خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى ، وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ) (رواه ابن ماجه) ، وكان من دعاءه (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه الكرام (رضوان الله عليهم) بالصحة والعافية ، فعَنْ سَلْمَانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : عَادَنِي رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَنَا عَلِيلٌ ، فَقَالَ : (يَا سَلْمَانُ شَفَى اللَّهُ سَقَمَكَ ، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ ، وَعَافَاكَ فِي بَدَنِكَ وَجِسْمِكَ إِلَى مُدَّةِ أَجَلِكَ) (رواه الحاكم في المستدرك).

وكان (صلى الله عليه وسلم) يأمر أصحابه (رضوان الله عليهم) بالدعاء بالصحة والعافية ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: سَلْ رَبَّكَ العَافِيَةَ وَالمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، ثُمَّ أَتَاهُ فِي اليَوْمِ الثَّانِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ أَتَاهُ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. قَالَ: فَإِذَا أُعْطِيتَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَأُعْطِيتَهَا فِي الآخِرَةِ فَقَدْ أَفْلَحْتَ. (رواه الترمذي).

لذا حثنا النبي الكريم (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) على استثمار تلك النعمة في طاعة الله (عز وجل)، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: (بادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا ، أَوْ غِنًى مُطْغِيًا ، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا ، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا ، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوْ الدَّجَّالَ ؛ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ ، أَوْ السَّاعَةَ ؛ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ) (رواه الترمذي).

ومن عظمة التَّشريع الإسلامي ومن أهم مقاصده أن جاء بجملة من المبادئ والأصول تضمن استقامة الحياة في نظام محكم دقيق ، يقول الله تعالى: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ} [النحل: ٨٩]، وتهتم ببناء الإنسان ورعايته صحيًا ، ونفسيًا ، وسلوكيًا ، وعلميًا، فالمسلم القوي نافع لنفسه، ودينه، ووطنه ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ»، فالمهمات العظام لا يقوم بها إلا الرجال الأصحاء الذين يجمعون بين الأمانة والقوة البدنية ، فهذه ابنة الرجل الصالح تطلب من أبيها أن يتولى سيدنا موسى (عليه السلام) العمل عنده لما يتوفر فيه من القوة والأمانة: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَاأَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ}[القصص: ٢٦].

وهذا سيدنا يوسف – عليه السلام – لما وجد في نفسه القدرة على تولي وإدارة شئون خزائن مصر قال: {اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } [يوسف: ٥٥].

وهذا أبو ذر (رضي الله عنه) حين يطلب من النبي (صلى الله عليه وسلم) أن يوليه ولايةً ضرب على منكبيه ثُمَّ قَالَ: « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[صحيح مسلم]، من هنا كانت عناية الإسلام ببناء إنسان قوي البنيان، مستقيم النفس، حسن السلوك، عالم بأمور دينه ودنياه.

وتتجلى عناية الإسلام بصحة الإنسان بعدة مظاهر فأحاطها بسياج من الرعاية، **من هذه المظاهر**: أن حرم الاعتداء علي النفس البشرية بأي لون من ألوان الاعتداء، بل جعل الحفاظ عليها أحد الكليات الخمس التي جاء بها الإسلام، فشرع من التكاليف ما يحفظ للإنسان صحته.

ومن هذه المظاهر : العناية بالطهارة ، فجعل الطهور شطر الإيمان، فعَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ ...» وجعلها شرطًا لصحة كثير من العبادات كالصلاة، والطواف، يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا... } [المائدة : ٦].

ومن مظاهر عناية الإسلام بصحة الإنسان أن حثه على ترك كل ما قد يُلْحِقُ به الضرر ، فقال تعالى:{ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ...} [البقرة :١٩٥]، والبعد عن الإسراف في الطعام والشراب قال تعالى :{ .. وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١]، وعَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِب (رضي الله عنه) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ

وَثُلُثٌ لِنَفسِهِ». قال ابن رجب: هذا الحديثُ أصلٌ جامعٌ لأصول الطب كُلِّها. [جامع العلوم والحكم].

فالإسلام قد سبق العلم الحديث في التنبيه على خطورة الإسراف في تناول الطعام والشراب وأنهما أصل كل داء ، وصدق الله العظيم إذ يقول في صفات رسول الإسلام (صلى الله عليه وسلم): { وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ..}[الأعراف : ١٥٧].

ومن هذه المظاهر: أن حث الإسلام على حفظ الأطعمة من كل ما يلحق بها الضرر ، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رضي الله عنهما) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: «غَطُّوا الْإِنَاءَ ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ».

ومن مظاهر عناية الإسلام بصحة الإنسان إيجاد أسرة قوية ، حيث إن الأسرة هي نواة المجتمع واللبنة الأولى في بنائه ، فسلامة الأسرة سبيل سلامة المجتمع ، ومن ثَمَّ اهتم بالعلاقة بين الزوجين وحرم كل ما من شأنه أن يلحق الضرر بأحدهما، فحرم المعاشرة الزوجية أثناء الحيض فقال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}[البقرة : ٢٢٢] . وحرم الزنا لأنه علاقة غير صحية علاوة على كونها محرمة قال تعالى: { وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا}[الإسراء : ٣٢] ، وحرم كل ما يلحق الأذى بصحة المرأة فأوجب على الحائض والنفساء الإفطار في رمضان، ورخص في عدم أداء بعض الفرائض حتى لا يتعرض الإنسان للتعب والمرض قال تعالى: {... فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...} {البقرة : ١٨٥} .

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بصحة الفرد: أن أمره بتجنب فعل أي أمر يسبب للجسد تعبا أو إرهاقا ، حتى ولو كان من العبادات ، فعن عَبْد اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : (يَا عَبْدَ اللهِ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ) فَقُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ : (فَلاَ تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَنَمْ فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فَإِنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أَمْثَالِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ) فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً قَالَ : (فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، وَلاَ تَزِدْ عَلَيْهِ) قُلْتُ : وَمَا كَانَ صِيَامُ نَبِيِّ اللهِ دَاوُدَ (عَلَيْهِ السَّلاَمُ)؟ قَالَ : (نِصْفَ الدَّهْرِ) فَكَانَ عَبْدُ اللهِ يَقُولُ : بَعْدَ مَا كَبِرَ يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم). (رواه البخاري وبوب له : باب حق الجسم في الصوم).

إن الإنسان لم يخلق للعبادة فحسب ، بل خلقه الله عز وجل لمهمتين العبادة وعمارة الكون ، فكيف لبدن هزيل ضعيف مملوء بالأمراض والأسقام والتعب والإرهاق أن يقوم ببناء حضارة ، أو تحقيق عمارة؟

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بصحة الإنسان: أن شرع جملة من الآداب الاجتماعية تحفظ على الناس صحتهم، وتمنعهم من التعرض للأمراض، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ أَوْ ثَوْبَهُ عَلَى فِيهِ، وَخَفَضَ أَوْ غَضَّ بِهَا صَوْتَهُ»[أخرجه أبو داود]. ونهي عن التنفس في الإناء لعدم إلحاق الأذى به ونقله للآخرين، فعن أَبِي قَتَادَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ...».

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بصحة الإنسان: أن حرص على نظافة وصلاح البيئة المحيطة بالإنسان ، وأن تكون خالية من الأمراض، لأن الأمراض إذا انتشرت في مجتمع فإنها لا تخص شخصًا دون شخص، ولكنها تؤثر سلبًا على حياة الناس عمومًا، فوضع قواعد لمنع انتشار الأمراض والأوبئة في المجتمع سبق به الطب الحديث، تعتبر أساس الطب الوقائي، منها العزل والحجر الصحي، الذي وضع قواعده منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام، والذي عبر عنه النبي (صلى الله عليه وسلم) بقوله: « لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»، وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ(رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : « الطَّاعُونُ آيَةُ الرِّجْزِ، ابْتَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ بِهِ نَاسًا مِنْ عِبَادِهِ ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ، فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا ، فَلَا تَفِرُّوا مِنْهُ» [متفق عليه]. وعن أبي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): « فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ » [رواه البخاري] ، فأصل الإسلام لمبدأ عظيم وحكمة بليغة وهي: الوقاية خيرًا من العلاج قبل أن تعرفها المنظمات الطبية العالمية.

وإن نزل البلاء وانتشر الداء أوجب الإسلام التداوي وحث عليه ، فالإنسان مطالب بحفظ نفسه، ومن حفظها التداوي، وإذا تركه يكون آثمًا، ولقد وردت أحاديث كثيرة تؤكد هذا المعنى ، فعَنْ جَابِرٍ بن عبد الله (رضي الله عنهما) عَنْ رَسُولِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ قَالَ: «لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» (رواه مسلم) ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: « مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً » (رواه ابن ماجة) ، وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ شَرِيكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وَأَصْحَابَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرُ، فَسَلَّمْتُ ثُمَّ قَعَدْتُ، فَجَاءَ الْأَعْرَابُ مِنْ هَا هُنَا وَهَا هُنَا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَتَدَاوَى؟

فَقَالَ: «تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ» (رواه ابن ماجة).

وعَنْ خَالِدِ بْنِ سَعْدٍ (رضي الله عنه) ، قَالَ: خَرَجْنَا وَمَعَنَا غَالِبُ بْنُ أَبْجَرَ، فَمَرِضَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ وَهُوَ مَرِيضٌ، فَعَادَهُ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ وَقَالَ لَنَا : عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ ، فَخُذُوا مِنْهَا خَمْسًا أَوْ سَبْعًا، فَاسْحَقُوهَا، ثُمَّ اقْطُرُوهَا فِي أَنْفِهِ بِقَطَرَاتِ زَيْتٍ، فِي هَذَا الْجَانِبِ وَفِي هَذَا الْجَانِبِ، فَإِنَّ عَائِشَةَ حَدَّثَتْهُمْ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ: "إِنَّ هَذِهِ الْحَبَّةَ السَّوْدَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ السَّامُ". قُلْتُ: وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: الْمَوْتُ) (رواه ابن ماجة).

فالنبي (صلى الله عليه وسلم) وضعَ قضيّةَ التّداوي في مَوضِعها الصّحيح يومَ أن بين للناس أن مسألة التداوي ليست اعتراضا على قضاء الله – عز وجل– ، بل هي محض رضا بقضاء الله وقدره، فعَنْ ابْنِ أَبِي خُزَامَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ رُقًى نَسْتَرْقِيهَا وَدَوَاءً نَتَدَاوَى بِهِ وَتُقَاةً نَتَّقِيهَا هَلْ تَرُدُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ: «هِيَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ»(رواه الترمذي). فأقدارَ الله تُدفَع بأقدار الله، فلا مكانَ في الإسلام للتّواكُل باسم التوكُّل ، والسنة النبوية المطهرة دلت دلالة قطعية أن سيدنا محمدا (صلى الله عليه وسلم) لما أصابه مرض تداوى ، آخذًا بالأسباب ومتوكلاً على رب الأسباب سبحانه وتعالى ، ولنا فيه (صلى الله عليه وسلم) الأسوة والقدوة الحسنة.

وكما أن التداوي واجب شرعي فهو أيضًا ضرورة اجتماعية حفاظًا على المجتمع وصحة أفراده، فقوة الأمم تتجلى في قوة أفرادها ، فالأمة التي تنزل بساحاتها الأمراض ، أو تستوطنها الأوبئة أمة ضعيفة هزيلة تتعرض لخسران كبير، سواء في هذه القوى البشرية المعطلة التي كان من الممكن أن تسهم في زيادة دخلها ، أو في هذه الأموال الطائلة التي تنفق في معالجة هذه الأمراض التي كان من الممكن أن تسهم في بناء صرح الأمة الاقتصادية. فالنهوض بالأمة والحفاظ على صحة أبنائها من أهم أسباب القوة التي عليها تنشأ عليها الحضارات.

والواجب على المجتمع أن يُعَوِّلَ في أمور الطب والتداوي على أهل الاختصاص، فهم أهل الذكر الواجب اتباعهم في تخصصهم، أما ما يحدث في بعض الأحيان في المجتمع من لجوء البعض إلى الخرافات واللجوء إلى غير المتخصصين لعلاج بعض الأمراض فلا ينبغي أن يحدث في مجتمع مسلم يستضيء بنور الوحي، يقول الله تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [الأنبياء: ٧]، ويقول تعالى: {فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا }[الفرقان: ٥٩]، فأهل الذكر في مجال التداوي هم الأطباء المتخصصون.

ومن الأمور التي اهتم بها الإسلام وسبق بها في مجال صحة الفرد ما يعرف بالصحة الإنجابية، والمقصود منها المحافظة على صحة الإنسان التناسلية وكل ما يتعلق بها ، في إطار شرعي أخلاقي واقٍ لكيان المجتمع ، ويحافظ على هويته الإسلامية.

فنجد الإسلام نظم أصول العلاقة الزوجية بين الزوجين في تعاليمه السمحة المحاطة بسياج من الحياء يحفظ لكلا الزوجين كرامته ، ويؤدي إلى نشر الفضيلة ، والبعد عن الرذيلة ، فأمر كلا الزوجين أن يحسن اختيار الزوج المناسب له خلقيا وصحيا ، وأمر بالاغتراب في الزواج بمعنى اختيار الزوجة من غير ذوي القربى حرصا على أن يكون الولد خاليا من الأمراض الوراثية ،فهذا النوع من الزواج منتشر وخاصة في المناطق الريفية ، فهذا النوع وإن كان جائزا شرعا إلا أنه مخالف للأولى .

وكذلك نظم الإسلام أصول ومبادئ العلاقة بين الزوجين بما يحفظ كلا الزوجين من أمراض قد تأتي نتيجة ممارسات خاطئة ، فقال تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ * نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ }[البقرة: ٢٢٢ ـ ٢٢٣]. والآية الكريمة تصف المحيض بأنه أذى وتأمر باعتزال الحائض، ولم يعلم أحد مدى الأذى الناجم عن جماع الزوج زوجته أثناء المحيض إلا مؤخرا، وقد اكتشف الطب الحديث الأضرار الخطيرة المترتبة على ذلك والتي تؤدي إلى الأمراض السرطانية ، ووصف الآية "المحيض" بالأذى هو وصف دقيق لأنه جمع الأضرار التي تصيب المرأة والرجل على السواء فهو لفظ جامع، فالضرر الناجم عن عدم اتباع الهدي القرآني خطر متشعب ومتنوع الأوجه.

وأخبر أن للوليد حقا من الرضاعة والرعاية ينبغي على كلا الزوجين الالتزام بها ، قال تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُواْ أَوْلاَدَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُواْ اللَّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [البقرة: ٢٣٣]..

واعتنى الإسلام برعاية الأسرة والطفل والاهتمام بالنسل، لما فيه من فوائد تعود على الطفل والأب والأم والمجتمع كله، وحرم الإسلام الإجهاض ، وكل الممارسات الخاطئة تجاه الفرد من زنا وإتيان المرأة في دبرها كل هذا ليحافظ على الإنسان.

وإذا كانت السنة تدعونا إلى التناكح والتكاثر فإن المعنى يتوجه إلى الكثرة النافعة القوية، فرسالة الإسلام أوسع في أهدافها من أن تحيا في أمة مرهقة موبوءة عاجزة ، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) « الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ، وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَىْءٌ فَلاَ تَقُلْ : لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » .(رواه مسلم).

أما الكثرة الضعيفة التي تكون عالة على غيرها والتي تعاني الفقر والمرض والتخلف العلمي والحضاري والثقافي فهي الكثرة السلبية التي عبر عنها النبي (صلى الله عليه وسلم) بغثاء السيل، فعَنْ ثَوْبَانَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[سنن أبي داود].

وعليه فالأولى أن يأخذ كل طفل حقه في مرحلتي الحمل والإرضاع ، وكذلك في التربية السوية، مع ضرورة الوفاء بحقه في المطعم والملبس والصحة والتعليم، أما التقصير في حق الأبناء وعدم الوفاء بواجباتهم في التربية فيعدُّ ظلمًا لهم ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) يوضح لنا أننا مسئولون عن أبنائنا فهم أمانة في أعناقنا، فيقول: « كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَعُولُ » [المستدرك للحاكم]، وفي رواية: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»[سنن أبي داود]، ويقول (صلى الله عليه وسلم): «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهْوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِىَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ....» [متفق عليه].

إن الصحة تاج على رءوس الأصحاء ، فلنشكر الله على نعمة العافية ، ولنحافظ عليها، ولنعتبر بمن ابتلي بالأمراض والأسقام ، والوقاية خير من العلاج ، ولنكثر من سؤال الله (عز وجل) العافية ، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مَرَّ بِقَوْمٍ مُبْتَلِينَ فَقَالَ : " أَمَا كَانَ هَؤُلاءِ يَسْأَلُونَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ" (رواه الهيثمي في مجمع الزوائد). فالعافية في الدارين غاية كل مؤمن، فإن ابتلي فليطلب العلاج والدواء.